القديم . وإذا كان ركام هذا القديم لم يكن قد أزيح بعد من الطريق فليس هذا دليلا على أن القديم لا يزال قائماً . صحيح إن بداية الفترة المدنية من عهد البعثة النبوية كانت لا تزال تشع الضوء فى ظلمات الجاهلية — فضلا عن الفترة المكية — وذلك دون أن يكون الظلام قد انقشع بعد أو انحسر ظلام الليل عن الفجر الوليد . ولكننا حين نتحدث عن عصر البعثة النبوية ينبغى أن ننظر إليه فى مجموعه من حيث صلته بالجاهلية أو انفصاله عن عصرها . فالمعول هنا على ما انتهى إليه عصر البعثة ، وما كان من عاقبته وتمخض من نتائجه ، تلك النتائج التى وإن كانت بطبيعة الحال أميل إلى الظهور مع نهايته إلا أنها تطبع العصر كله بطابعها ، وتلون الصورة كلها بالصبغة الإسلامية التى رفع أول كلمة باسمها ، ورسم بريشته أول حرف لها ، ثم ختمها بالملامح التى تؤكد شكلها وتميز بشدة ذلك الشكل الجديد عما سبقه من أشكال جاهلية . وعلى هذا فلا يصح أن ننسب كل ما يمت بصلة قوية للعصر الإسلامى الجديد إلى عهد جاهلي بائد ، ولا يصح بعد هـــذا أن نضيف فترة البعثة النبوية إلى العصر الجاهلي فى حين أنه لا يمكن أن يبدأ العهد الإسلامي أو ينبثق له وجود إلا بها .

فاذا كان هـذا كله ما ينطبق على التاريخ السياسى ، فان التاريخ الأدبى لهذه الفترة — على عكس مادرج عليه الكثير من الباحثين — ليس ببعيد عنه . ذلك أن عصر البعثة النبوية ، إذا كان من حيث الحقيقة والواقع أو التاريخ والسياسة والدين قد واجه العصر الجاهلي وصرعه واحتواه واشتمل عليه بكل ما حمل من قيم جديدة ومثل عليا وأسس شدت من كيانه ورفعته عليه ، فكيف يمكن للأدب أن يشذ عن ذلك كله فيخرج عن الطريق طريق الحياة ، ليسير فى طريق أخرى وحيداً ، منفرداً ، متعلقاً بالقديم الجاهلى ، يصم آذانه عن الجديد ، ولا يأبه به ، وتعمى الأبصار فيه عما حوله ، فلا يكاد يرى من حوله شيئاً . لقد قلنا إن طريق الأدب هو طريق الحياة ، وليس للأدب طريق غيره ، فاذا كانت الحياة قد حدث فيها ما حدث ، والتيار يجرف كل ما أمامه ويعرج على ما خلفه ، فكيف ينعزل الأدب ، بل كيف